اللقاء الثاني عشر من لقاءات التفسير في شهر رمضان المبارك من عام 1437هـ

الجزء الرابع عشر: سورة الحجر

الآيات من 75 - 88

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد) /http://www.muslimat.net

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونستغفره من ذنوبنا، ونعوذ بالله أن نحرم العلم وأسبابه ، ونعوذ بالله أن نكون ممن تعلم فلم يعمل أو تعلم فلم يشكر، فالحمدلله الذي يسر لنا أسباب العلم ، والحمدلله الذي وفقنا للعمل بهذا العلم نحمده طالبين منه المزيد راغبين فيه سبحانه وتعالى، وهو أهلٌ للرغباء والثناء والرجاء، اللهم لا تخيب رجاءنا وزدنا علمًا وإيمانًا و بما تعلمناه و انفعنا به لما نلقاك.

الآيات التي سنتدارسها اليوم الثاني عشر من دروسنا في هذا الشهر الكريم، سيكون من سورة الحجر وفيها كلام عن هؤلاء الأنبياء الكرام الذين أتى الخبر عنهم ليحصل بمعرفتهم زيادة اليقين بعناية رب العالمين بهؤلاء الخلق، وزيادة اليقين بأنه سبحانه وتعالى أقام الحجة عليهم جميعًا، فإن هذه الحجة وهي إرسال الرسل حجّة عظيمة قد حصلت لجميع الأمم فلا يحاسبون ولا يعاقبون إلا بعد أن يتبيّن لهم السبيل.

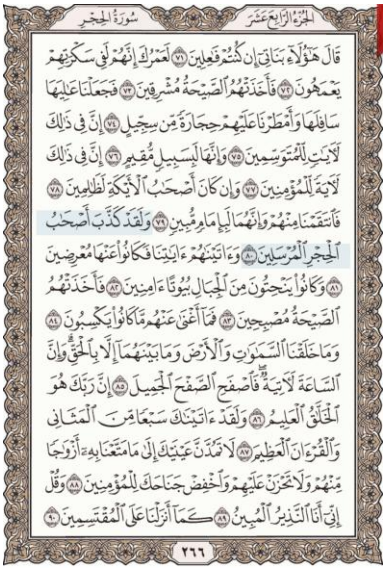

ومن ذلك ما ذكره سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة عن قوم لوط وكيف أنه أرسل إليهم لوطً ا -عليه السلام- وقصته مشهورة، لكن سنأخذ اليوم من آخر قصة لوط ما ذكره -سبحانه تعالى- خاصة في سورة الحجر من كون أن آثار قوم لوط موجودة مرئية وذلك لغاية عظيمة.

نتدارس من سورة الحجر أواخر قصة لوط عليه السلام ، وقصته مشهورة -عليه السلام- في آخرها يقول الله عزوجل: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ } يعني بعدما أخبرنا أن الصيحة أخذتهم مُ شرقين وقت الشروق وأنه -سبحانه وتعالى- جعل عاليها سافلها فقلب عليهم المدينة، وأنه أُمطر عليهم حجارة من سجيل، وهي تتبع من خرج وشذّ من المدينة قال تعالى : {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ}.

قال الشيخ السعدي:

{المتوسمين} أي: المتأملين المتفكرين، هؤلاء هم الذين ينتفعون بما يرون الذين لهم فكر ورويّة وفراسة، يفهمون بها ما أُريد بذلك، يعني يفهمون لماذا بقيت هذه الآثار، يفهمون لماذا حصلت هذه العقوبات، يفهمون بها ما أُريد بذلك من أن من تجرأ على معاصي الله سيعاقبهم الله – عزوجل- بأشنع العقوبات خصوصًا هذه الفاحشة العظيمة، فإن الله سيعاقبهم بأشنع العقوبات، كما تجرأوا على أشنع السيئات.

{وَإِنَّهَا} أي: مدينة قوم لوط التي وقع فيها العقاب {لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ} أي للسالكين، يعرفه كل من تردد في تلك الديار.

هو يتردّد ويراها لكن بقي أن يكون من المتوسمين الذين يرون الآيات فيعرفون ما وراءها من حقائق فتكون الآيات بالنسبة لهم بمثابة الوسم والدلالة تدلهم على ما وراءها من حقائق.

يقول الشيخ:

وفي هذه القصة من العبر : عنايته تعالى بخليله إبراهيم،

سيعطينا عبر من قصة لوط عليه السلام، أين تظهر عناية الله بإبراهيم في قصة لوط؟

فإن لوطًا عليه السلام من أتباعه، وممن آمن به فكأنه تلميذ له، فحين أراد الله إهلاك قوم لوط حين استحقوا ذلك، أمر رسله أن يمرّوا على إبراهيم عليه السلام كي يبشّروه بالولد ويخبروه بما بُعثوا له،

هو الآن كأنه في منزلة تلميذه فالله تعالى أرسل الملائكة تبشر إبراهيم -عليه السلام- بالولد وفي نفس الوقت تخبر إبراهيم – عليه السلام- بما بُعثوا له.

حتى إنه جادلهم -عليه السلام- في إهلاكهم حتى أقنعوه، فطابت نفسه.

وهذا من عظيم كرم الله بإبراهيم -عليه السلام- وهذا مما يدل على مكانته عند ربه، فإنه لم يفاجئه بخبر إهلاك قوم لوط الذي يكون فيه لوط كالتلميذ له، وإنما أكرمه بأن يخبَر بذلك ثم تطيب نفسه في الإبلاغ، وهذه فائدة عظيمة جدًا تدل على مكانة إبراهيم -عليه السلام- عند ربه.

وكذلك لوط -عليه السلام- لما كانوا أهل وطنه، فربما أخذته الرقة عليهم والرأفة بهم.

هذا لو نزل الأمر مباشرة لإهلاكهم، لكن الله -عزوجل-.

قدَّر من الأسباب ما به يشتد غيظه وحنقه عليهم

والسبب –كما هو معلوم– أن الملائكة أتته في صورة إنسي فحصل من زوجته ما حصل وقع منها ما وقع ووقع من القوم ما وقع فاشتد غيظه عليهم.

حتى استبطأ هلاكهم لما قيل له: {إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} [هود: 81].

يعني كان متعجل أن يكون الإهلاك قبل ذلك وهذا من حكمة الله؛ لأنه قد يقع في قلب الإنسان على كثير من الأقدار شيء لضعف علمه والله عز وجل علّام الغيوب ، فمن رحمة الله بالخلق وبالأنبياء خاصَّة أن يُظهر لهم ويبيّن لهم أحوال تجعلهم موافقين قابلين طيبين النفس على أقدار الله، ثم إن من رضي فله الرضا.

ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أن يهلك قرية ازداد شرّهم وطغيانهم، فإذا انتهى يعني وقع أعلى ما يمكن أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه.

وهذا ما نظنّه فيمن شرعن اللِّواط، أنهم ما شرّعوه إلا ليبلغوا أشرّ ما يمكن وأطغى ما يمكن فتقع عليهم العقوبات التي يستحقونها. هذا في الكلام عن لوط –عليه السلام– وقومه وما جرى لهم.

يأتي بعده الخبر عن قوم شعيب الذين سُمّوا بأصحاب الأيكة فأصحاب الأيّكة هم قوم شعيب ، نعتهم الله وأضافهم إلى الأيّكة، وهو البستان كثير الأشجار ، لماذا نعتهم بذلك ؟

يقول الشيخ:

ليذكر نعمته عليهم، وأنهم ما قاموا بها

يعني ما قاموا بشكرها كما ينبغي للشاكرين

بل جاءهم نبيّهم شعيب، فدعاهم إلى التوحيد، وترك ظُلم الناس في المكاييل والموازين.

وهذا يدل على أن هؤلاء قد جمعوا بين أمرين:

١. بين الشرك –الظلم الكبير–
٢. وبين ظلم الناس.

رَغْمَ إنعام الله عز وجل عليهم ، فمن جمع بين هذا وهذا فقد أوقع نفسه في عقوبة الله، إلا أن الله -عز وجل- من رحمته أرسل الرُّسل ليكونوا مقيمين الحجّة على الأقوام ، وليرشدوهم علهم يعودوا عن ظلمهم، فأرسل الله -عز وجل- شعيبًا لهم فدعاهم إلى التوحيد، وترك ظلم الناس في المكاييل والموازين.

وعالجهم على ذلك على أشد المعالجة لكنهم استمروا في ظلمهم في حق الخالق.

وهؤلاء أصحاب الأيّكة فيما يقال أنهم عبدوها وجعلوها إلهًا لهم من دون الله، فوقعوا بذلك في الشرك بما أنعم عليهم الله -عز وجل- فهم مشركين مثل غيرهم لكن أشركوا مع الله ما وهبهم الله ، ثم أنهم كانوا يتنعّمون بأرزاق الله التي كانوا يُشبهون فيها قوم سبأ من جهة التوسّع فيما رزقهم الله من النِّعم والتمتع بها، فلم يكن منهم إلا أن جمعوا بين الشرك بالله وبين الاعتداء على حقوق خلق الله.

وفي حق الخلق، ولهذا وصفهم هنا بالظلم: **{فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ}** فأخذهم عذاب يوم الظُّلّة،

وهذا العذاب الذي وقع بهم كان عذاب يومٍ عظيم، ثم يأتي العبرة التي نبحث عنها وهي لماذا نُخبَر عن هؤلاء؟

لماذا تأتينا الأخبار عنهم وعن عذابهم؟

السبب في ذلك: أن هذه عبر لذلك قال الله -عز وجل-:

{وَإِنَّهُمَا} أي: ديار قوم لوط وأصحاب الأيكة **{لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ}** بمعنى أنها في طريق واضح يمر بهم المسافرون كل وقت، فيبين من آثارهم ما هو مشاهد بالأبصار فيعتبر بذلك أولوا الألباب.

فيروا آثار قوم عظماء وعندهم ما عندهم ويكون قد جاءتهم الصيّحة في آيات، والرجفة في آيات وعذاب يوم الظُّلّة في آيات، والله قد جمع عليهم أنواع من العقوبات وصنوفًا من المثُلات وأشكالاً من البليّات

- سلّط الله عزوجل عليهم رجفة شديدة أسكتت حركاتهم
- وصيحة عظيمة خلعت قلوبهم
- وظُلة أرسل عليهم منها شرر النار من سائر أرجائها والجهات.

فمعناها هؤلاء القوم ارتكبوا عظيم المنكرات؛ لأنهم جمع لهم عذبوا بعذاب الصيّحة وعذبوا بعذاب الرجفة وعذبوا بالظلّة، فعرفنا أن الرجفة هذه رجفت خلال أرضهم وأخذاهم وأتت الصيّحة فخلعت قلوبهم من الخوف وأتت الظُّلّة فرمت عليهم شرر النار من جميع الأرجاء، فكان هذا العذاب مناسبٌ لتكذيبهم وتطاولهم على أنبياءهم.

وهؤلاء قوم شعيب يسكنون في شمال الجزيرة المنطقة التي تُسمى مَدْيَن، ويعبدون هذه الأيْكة ويتفاخرون بتجاراتهم وأموالهم ويغشّون الناس فيها، ولذلك كانوا يقولون لشعيب: {أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} [هود: 87]، وأنتم تتأملون في كتاب الله فتجدون أن في سورة الأعراف الله عزوجل قال: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [الأعراف:91] وكان هذا مناسب؛ لأن في السورة نفسها الله تعالى قال أنهم هددوا شعيب بالإخراج { لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} [الأعراف: 88]، فكان جزاءهم أن أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين، جثموا ما استطاعوا أن يحركوا ساكنًا.

وفي سورة هود قال الله –عز وجل–: { وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ} [هود: 94] وهذه الصيحة مناسبة لاستهزاءهم بنبيهم لما قالوا له : {أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ}، قالوا هذا الكلام على سبيل التهكم والازدراء فناسب أن تأتيهم صيحة تقلع قلوبهم.

وفي سورة الشعراء كانوا يقولون لنبيهم: {فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ} [الشعراء: 187] على وجه العناد، فاستحقوا أن يأتيهم عذاب يوم الظلة، فيما يذكره قتادة عن عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما– أن عذاب يوم الظلة كان تسليط الحرّ عليهم حتى أنّه ما يظلّهم شيء، ثم أنشأ الله لهم سحابة استظلوا بها فأُججت عليهم نارًا فصارت ترميهم بالشرر فأحرقتهم! وعلى ذلك يكون عذابهم الذي أُخبرنا عنه إنما هو مناسب لحالهم ولاستكبارهم ولاستهزائهم ولتهديدهم ولتعجيزهم لنبيهم، فنحن نشهد أن شعيب –صلى الله عليه وسلم– قد عالجهم علاجًا عظيمًا، وأنهم كانوا له مهددين وبه مستهزئين ومُتَحدِّين فنزلت عليهم العقوبات المناسبة لهم.

هكذا نجمع بين الثلاث مواطن التي أتت فيها ثلاث أنواع من عذابهم، وهذا معناه {فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} جاءهم عذاب يوم الظلة وجاءتهم الرجفة وجاءتهم الصيحة.

هذا بالنسبة للكلام حول قوم شعيب وهم أصحاب الأيكة.

نأتي للكلام حول **أصحاب الحجر** وهم من سُميت السورة باسمهم، يقول الشيخ :

يخبر تعالى عن أهل الحجر، وهم قوم صالح الذين كانوا يسكنون الحِجر المعروف في أرض الحِجاز، يخبر عنهم أنهم كذّبوا المرسلين أي أنهم كذّبوا صالحًا، فلما قيل عنهم أنهم كذبوا المرسلين مرّ معنا هذا سابقًا أن من كذّب رسولاً فقد كذّب سائر الرسل.

مرّ معنا سابقا أن من كذب نبيّنا فكأنه كذّب الأنبياء جميعًا.

ومن كذّب رسولا فقد كذّب الرسل لاتفاق دعوتهم، وليس تكذيب بعضهم لشخصه بل لما جاء به من الحقّ الذي اشترك جميع الرسل بالإتيان به

يعني نفهم من ذلك أن من آمن برسول كان الواجب عليه أن يؤمن بكل الرسل وأن من كفر برسول فكأنه كفر بكل الرسل.

فأصحاب الحجر الذين هم قوم صالح آتاهم الله الآية: {وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا} الدالة على صحة ما جاءهم به صالح من الحقّ، التي من جملتها تلك الناقة التي هي من آيات الله العظيمة.

معنى ذلك أن أصحاب الحجر كانت آيتهم غاية في الوضوح، وهي الناقة التي لها شرب يوم معلوم ولهم هم شِرب في يوم معلوم، رغم أنها آية يرونها بأعينهم ويدركونها وقد جاء في وصفها {وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً} [الإسراء: 59]، وفي الأعراف قال الله عزوجل: {قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً} [الأعراف: 73]، وفي الشعراء قال: {قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} [الشعراء: 155]، وهؤلاء أصحاب الحجر قوم صالح امتنَّ الله -عزوجل- عليهم بنعم عظيمة: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا} [الأعراف: 74]، هذا كلّه يجعل الشكر واجب عليهم، لكن رغم تمكين الله -عز وجل- لهم وكانوا في جنات وعيون و زروع ونخل طلعها هضيم وينحتون من الجبال بيوتًا فارهين، كل هذا ماجعلهم يشكروا الله بل جعلهم يزدادون كفرًا!

ولذا سنسمع هنا عنهم: {فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} يعني مُعرضين عن الآيةِ كبرًا وتجبّرًا على الله وكانوا مع كثرة أنعام الله عليهم {يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ } يعني حصل لهم كل ما يريدون، مكّنهم الله أن ينحتوا من الجبال بيوتًا آمنين، آمنين من المخاوف مطمئنين في ديارهم، كان الواجب عليهم أن يشكروا النعمة ويصدقوا نبيهم صالحًا -عليه السلام- فلو شكروا النعمة وصدقوا نبيهم صالحًا -عليه السلام- لأدرَّ الله عليهم الأرزاق، ولأكرمهم بأنواع من الثواب العاجل والآجل، ولكنهم وصل بهم الأمر في السخرية والاستعداء في الأرض والتكبر أنهم عقروا النّاقة، وعتوا عن أمر ربهم وقالوا: {يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف: 77] يعني جمعوا بين هذا كله كذبوا وعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا: {يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}، فأتتهم العقوبة {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ} وهذا من عجيب العقوبات، (وأخذتهم الصيحة) وهذه الصيحة من قوتها تقطعت قلوبهم في أجوافهم فأصبحوا في دارهم جاثمين هلكى!

{وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ* كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ} [هود: 67-68]، وهذا معناه أن كل قواهم ذهبت بصيحة واحدة، والله يقول: {فانظر كيف كان عاقبة أمر فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ

بُيُوتُهُمْ} التي كانوا ينحتونها من الجبال **{خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا}**[النمل: 51-52]، وهذا مما يُستعجب له، فإن المار على ديار قوم صالح يجد أنها خاوية تمامًا ما فيها بقايا جثث أو بقايا أشياء أبدًا إنما ديارهم خاوية، وهذا دليل على أنه أُهلكوا جميعًا!

{فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ما أغنى عنهم لا بيوتهم التي اتخذوها آمنين ولا قواهم ولا جندهم؛ لأن أمر الله إذا جاء لا يردّه كثرة جنود، ولا قوة أنصار ولا غزارة أموال.

الله –عزوجل– أبقى للخلق آثارًا يعتبرون بها ويربئون بأنفسهم عن أن يسلكوا مسلك من سبقهم ، فلا يفعلوا مثل ما فعل من قبلهم ولا يسكنوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، ومن كان متوسمًا فلينظر إلى مصير النِّعم إن لم تُشكر وإن لم يُح سن للإنسان تسخيرها في طاعة الله، وأن نفكر دائمًا أن من ينصرنا في الدنيا ومن نتقوى به ليس هذا الذي سيكون مصيرنا غدًا، فإنه ما يُغني عن الله أحد، وأن الآيات مهما كانت واضحات كوضوح النَّاقة في حقِّ هؤلاء، مهما كانت واضحات إذا امتنع الإنسان عن الإيمان ما تُفيده الآيات مهما كانت الآيات واضحات.

إذن عرفنا أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب وكيف أنهم عبدوا الأيكة وظلموا الناس، وعرفنا أصحاب الحجر وهم قوم صالح وكيف أنهم ما نفعهم ما معهم من القوة ورغم أن آياتها واضحات ومع ذلك كفروا ؛ لأنهم ما أرادوا الإيمان ولا طلبوه.

فاللهم اجعلنا راغبين في الإيمان طالبين له !

ومما يذكر هنا بمناسبة اسم السورة أن الحِجر معناه المكان المحجور ، أي ممنوع من الناس بسبب اختصاص فهم كانوا في الحجر يعني في مكان عز محجور، ما يدخل عليهم أي أحد ولا يجدون الخلق لهم سبيل وقد قيل أنه من الحجارة؛ لأنهم كانوا ينتحون بيوتهم في صخر الجبل نحتًا محكمًا.

هم كانوا متحصنين جدًا وأصحاب بأس وكانت بيوتهم في الجبال من قوتهم، وقد جُعلت طبقات وجعل في وسطها بئر عظيم، وهذا الحِجر معروف اليوم بوادي القُرى وهو بين المدينة والشام يُسمونه مدائن صالح من جهة تبوك

فالشاهد أن اسمهم الحجر أتى من قوة حمايتهم لأنفسهم ومن ذلك استخدامهم الحجر في بيوتهم، ومع ذلك **{فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}** إنهم **{كَانُوا يَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَال بُيُوتًا آمِنِينَ}** ويظنون أن هذه البيوت تحميهم وتحصنهم فلا ينالهم عدو، لكنهم نسوا أنها لا تؤمِّنهم من عذاب الله، وكما هو معلوم **{فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ}**، يعني الظاهر أنهم كانوا

منتشرين، فما كان أحد في البيوت، {فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} يعني ما كانوا يصنعون من البيوت يعتنوا بها لأجل أن تحصنهم.

على كل حال نؤكد هنا أن السورة اسمها سورة الحجر لهذه القصة ، وهذا يجعل الإنسان يتأمل سميت سورة الحجر لقصة قوم ثمود قوم صالح، فلِمَ الحجر ؟

فمن تأمل جيدًا علِم أن لا شيء يغني عن الله وأن العباد كلهم في قبضة الله والله محيط بهم، فمهما كانوا في ديارهم آمنين، من أين سيأتيهم الخراب! هذه دول عظمى من أين سيأتيهم السقوط ؟!

فيقال لك: أصحاب الحجر تحجّروا وامتنعوا وتقووا وتحصّنوا لدرجة أن بيوتهم كانت في الجبال ، فمن أراد الدخول عليهم عليه أن يشق هذه الجبال ، من أراد الاعتداء عليهم فلا يستطيع أن يعتدي على هذه الجبال الضخمة التي تمنعهم عن الناس، ومع ذلك أخذتهم الصيحة، فخلعت قلوبهم وأودت بهم.

وفي هذا من العبرة ما فيه أن قوة التوكّل على الله والتحصّن به تحمي ولو تعرى الإنسان من الحصون، و أنّ الاعتماد على غير الله والثقة بغيره لابد أن يكون وراءها الخُذلان ، فتخون هذه الأشياء ويأتي أمر الله {وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف :21]، وهذا يزيد على معرفتنا السابقة بأن فرعون قتّل بني إسرائيل فرُبي موسى عنده وأن إخوة يوسف أرادوا أن يخل لهم وجه أبيهم لما ألقوا يوسف في الجبّ، فكان أمر الله غالب فبقي أبوهم مُنشغلاً حتى رفع الله مكانة يوسف ووجده، هكذا الأسباب لا تنفع و الاتكال عليها لا يدفع بل التوكل على الله، والله يسخر الأسباب وينفعهم بها.

ويبقى علينا فقط أن نقول مسألة النُّصرة والنَّصير ومن ينصرنا لما نلقى الله ومن يدفع عنا لما نلقاه، مسألة يجب أن تشغل بالنا، فلما نتيقن أنه لا نصير وقت الوقوف بين يدي الله إلا أن يحفظنا الله ، فيكون العبد شديد التعلّق بالله راجيًا أن يكون هو وليّه في ذاك الموقف العظيم، وليّه الذي ينصره ويحفظه في دنياه وفي قبره ولما يلقاه.

أسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أوليائه الصالحين الذين استنصروا به فنصرهم واستعصموا به فعصمهم وحفظهم ولقاهم نضرة وسرورًا. اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.